

مرسلات ...

عالي !

أعلنت الصحف ذات يوم أن فلاناً سيتحدث ساعة كذا من المساء حديثاً علمياً ، وفلان هذا رئيس مرجوٍ مرهوب ، يتعد سلطانه إلى الأقاليم ، حيث ينبث له في أرجائها عمال ومرءوسون ... فحدثني صديق من أصدقائي أن كثيراً من هؤلاء المرءوسين قد فرغوا لهذا الحديث ، واحتشدوا له حول « المذيع » ثبات ثبات : منهم من ينشد العلم ، ومنهم من يتزود للملق والنفاق ، وأزف الموعد ... فلو ترى إذ خشمت الأصوات ، وأرهفت الأسماع ، والليل ساجٍ لا تسمع فيه إلا دقات « الاستراحة » تنبعث متقطعة من « المذيع » ، كأنها دقات قلب مضطرب على موعد للقاء ... ثم نطق المذيع :

« سيداتي ، سادتي : لم يتمكن حضرة الأستاذ (...) من الحضور ، وسنديع عليكم بعض الأسطوانات ا »
ورجع المذيع بعد ذلك رنيم « ليلي » وشدو « أم كلثوم » حتى انقضى وقت الحديث !

وزرت هذا الرئيس بعد يومين في مكتبه لشأن من الشؤون ، وكنت عرفت سر تخلفه عن مواعده ، فما راعني إلا كتاب يلقيه إليّ ويطلب مني أن أقرأه ، فإذا هو من شخصين مرءوسين له في بلد قريب من القاهرة ؛ وإذا هما يقولان فيه : « أما والله لقد أجدت في حديثك ليلة كذا إجابة ما نحسب أن أحداً وفق إلى مثلها ؛ ولقد كنا نستمع إليك في جمع من أصحابنا من هويّين بك ، والقوم من حولنا في نشوة ... فلما انتهى حديثك لم يبق أحد إلا حيّاك على البعد ودعا لك ، ثم اتنوا إلينا يلقوننا عنك التهنئات ... فهكذا فلتكن الأحاديث ا »

قلت وقد أخذتني الدهشة : أيّ حديث يريدان ؟ قال : هذان شخصان مقلّان تموداً أن يلقيا في كل مناسبة بمثل ما ترى ، وقد حسبنا أنّي ألقيت الحديث !

محمد محمد المرفي

الكلمات الضخمة في معرض الحديث عن شاعر مسكين كأبي العلاء

وشاء العقاد إلا أن يختم حديثه بتذكيرنا بقوله عن رسالة النفران : « أي شيء من هذه الأشياء لم يكن من قبل ذلك معروفاً موصوفاً ؟ أي خبير من أخبار الجنة المذكورة لم يكن في عصره معهوداً للناس مألوفاً ؟ كل أولئك كان عندهم من حقائق الأخبار ووقائع العيان ... »

وهذا كلام لا علاقة له أصلاً بموضع المناقشة فهو لا يدل في شيء على « أن فكرة الرحلة إلى العالم الآخر لم يسبق أبا العلاء إليها غير لوسيان » وإنما يدل على أن فكرة الجنة وأوصاف الجنة كانت معروفة عند الناس كما وردت في الديانات والكتب المقدسة . وأما أنها تستخدم في الأدب قبل أبي العلاء إلا عند لوسيان فهذا ما لم يرد عليه العقاد

ثم إن هذه الجملة في ذاتها تأكيد آخر من تأكيدات العقاد الغير مقبولة ، فأبو العلاء لم يعرف الجنة كما كان الناس يعرفونها أو يتصورونها ؛ والجانب الهام من جنته هو دنيانا أو على الأصح دنيا العرب ، إذ أنه قد نقل الدنيا إلى الآخرة وقد جمعت تلك الدنيا بتأريخها الطويل في صعيد واحد ، فهناك ترى الهدلى يجلب ناقته ، وابن الفارح محمولا زعفرانة على السراط ، وابن عدى بصيد ، والأعشى في هينه حور ، وكل أولئك أشياء لم يكن يعرفها أحد عن الجنة بل ولا يتصورها مجرد تصور ، وما هي من الجنة كما وصفها القرآن في شيء

ويضيف العقاد تذكيرنا بقوله : « إنها رحلة قديمة ولكن أبا العلاء أعادها علينا كأنه قد خطا خطواتها بقدميه وروى لنا أحاديثها كأنما هو الذي ابتدئها أول مرة ... » وموضع البحث هو كما قلت وأكرر أن نعرف مدى قدم تلك الرحلة ومن سبقه إليها ، أهو لوسيان فقط أم لوسيان وغير لوسيان ممن ذكرنا

والآن لم يبق لدى إلا أن أترك للقارى الحكم على طريقة الأستاذ العقاد في توجيه الخطاب من (لا يا شيخ ا) إلى أمثال ذلك مما أمسك قلبي عن الرد بمثله ، فهذا أمر سهل ميسور لكل إنسان .

محمد مندور